

## تشكيل دلالة الفضاء تنظيراً وتطبيقاً في روايات "عبد المالك مرتاض"

أ. زينب مرزق

جامعة الأغواط

الملخص :

لقد دخل مصطلح الفضاء في الدراسات النقدية الحديثة العربية كمقابل للمصطلحين الإنجليزي والفرنسي " Espace Space" على التوالي، وقد حظي هذا المفهوم باهتمام النقاد العرب، ومن بينهم الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" الذي أولاه اجتهاداً خاصاً حين بدأ بتحديد المفاهيم الخاصة بالمنهج الحديثة، وما يميز دراسته اختياره لمصطلح الحيز بدل الفضاء علل هذا الاختيار بأن الفضاء يعني الفراغ بينما الحيز يحوي الأشياء فهو الأنسب لعالم الرواية، وبعد تحديد المنهج النقدي والمصطلحات مارس مفاهيمه في أعماله الروائية.

لهذا قمنا بمسح لبعض أعماله النقدية التي تناول فيها المفهوم، وحاولنا البحث عن الفضاء في رواياته - أشكاله - دلالاته - الفضاء الصوري، العنوان.

الكلمات المفتاحية : 1- دلالة 2- الفضاء 3- عبد المالك مرتاض

### Résumé

Un terme est entré dans la critique littéraire moderne par opposition aux termes anglais et français (espace---space)

Où Abdul-Malik Murtaze était intéressé quand il a commencé à définir le concept et a choisi le terme espace

Il a plutôt choisi le haiz et a expliqué que l'espace signifiait que l'espace et (le haiz)contenaient des choses.

Après avoir défini la méthodologie et la terminologie appliquées ces concepts dans sa fiction

C'est pourquoi nous avons étudié quelques-uns de ses travaux critiques dans lesquels il a discuté du concept d'espace

C'est pourquoi nous avons étudié quelques-unes de ses œuvres critiques, qui traitent du concept d'espace et ont tenté de chercher de l'espace dans ses romans

Ses formes - sa signification - l'espace de l'image - le titre

المقدمة

يعتبر مصطلح الفضاء من المصطلحات النقدية التي حظيت باهتمام كبير في الدراسات النقدية الحديثة، سواء كانت الغربية منها أو العربية، لكونه مصطلحاً حديث النشأة فهو لا يزال في طور التكوين وعدم الاستقرار، من حيث أنه لم يتحدد بدقة ولا يزال تشوبه مجموعة من الإشكاليات في عملية تبلوره كمفهوم موحد بين النقاد الغربيين، هذه المشكلة يعاني منها النقد الغربي وقد انتقلت إلينا مع المصطلح، كما أننا نعاني من صعوبات تخص الترجمة و غيرها في نقدنا العربي.

وقد أرجع بعض النقاد هاته (الصعوبات إلى عدة إشكاليات منها :

1- إشكاليات المصطلح في الترجمة و التعريب

2- إشكاليات المصطلح في عملية التطبيق النقدي العربي.

3- وعي الدارسين بالمصطلح النقدي)<sup>1</sup>.

فهو كمصطلح حديث لا يزال متعلقا بالاجتهادات الخاصة للنقاد، حيث أنه لا يمكن للباحث إيجاد نظرية متكاملة متفق عليها في دراسة الفضاء الروائي، فكل ناقد ينظر لهذا المفهوم حسب وجهته الخاصة و رؤيته، لذا تعددت التسميات في دراساتها النقدية كما تعددت التعريفات.

المفهوم اللغوي للفضاء

تعد كلمة الفضاء من الكلمات التي استعملها العرب منذ القدم، وقد جاءت دلالتها في معجم ابن منظور لسان العرب (أن الفضاء يدل على المكان الواسع، الخالي الفارغ من الأرض، والفعل منه فضاء... فضاء المكان إذا اتسع... وأفضى بهم: إذا بلغ بهم مكانا واسعا)<sup>2</sup>.

وهذا المفهوم مشابها للشرح الذي ورد في المنجد في اللغة، حيث جاء تعريف الفضاء كالاتي: (الفضاء جمعه أفضية: وهو ما اتسع من الأرض الساحة و يقال: مكان فضائي واسع)<sup>3</sup> و من هنا نلمح أن الميزة اللغوية بين المصطلحين المكان و الفضاء هي أن الأخيرة أوسع من ناحية المساحة . المفهوم الاصطلاحي للفضاء:

إن الفضاء الروائي من المصطلحات التي دخلت النقد العربي الحديث، وقد اشتق الفرنسيون والإنجليز مصطلحي (Espace) (Space) من لفظة (Spatum) اللاتينية التي في الأصل تعني "الامتداد واللامحدود الذي يحوي كل الامتدادات الجزئية المحددة"<sup>4</sup>.

أما في نقدنا العربي فيعرفه (حميد لحميداني) مميزا بينه وبين المكان "هو أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليه الحركة الروائية المتمثلة (...). سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية"<sup>5</sup>، ومنه فالفضاء الروائي ليس الفضاء الجغرافي فحسب وإنما هو أيضا الفضاء الدلالي والنصي وفضاء القارئ، إذ الفضاء في الرواية ليس ما تواضع عليه البشر بل أشمل وأوسع.<sup>6</sup>

ومنه فإن المكان هو (كون الكائن حاضنة وجوده وتفاعلاته التحتية و الفوقية، إنه حفرياتنا العميقة يحمينها ونحميه ونحتضن به ضد الأعداء، نخترقه و نخترقنا على الدوام، سواء في الواقع أو الخيال)<sup>7</sup>.

وقد تطرقنا للمكان بشكل عام، كي نستطيع التمييز بينه وبين الفضاء في الرواية الذي (يسع كل الأمكنة وزيادة، فهو أوسع منها لأنه مطاط قابل للتكبير و التوليد بالقراءة المنتجة، وهو فوق هذا وذاك هو مكان مجازي ذهني في)<sup>8</sup>، ولو ارتبط بأبعاد طبوغرافية و تسميات لأماكن حقيقية لها علاقة بالأماكن الواقعية أو التاريخية.

الفضاء عند عبد مالك مرتاض:

1- المنهج النقدي ل: عبد مالك مرتاض:

يعد الناقد "عبد مالك مرتاض" من بين أهم النقاد في الساحة النقدية العربية عموما، والجزائرية خصوصا، حيث أرسى ركائز المدرسة النقدية الجزائرية بكل تميز منذ الثمانينات وهو يعمل على الاشتغال على منهج يجمع فيه بين الدراسات الحديثة والدراسات التراثية، فقد كان على دراية كبيرة بالدراسيتين، كما أنه يرى أن المنهج الواحد عاجز على تناول النص الأدبي.

يمكن أن نلمس هذا في دراساته النقدية التي يظهر فيها منهجه بشكل واضح، فهو منهج سيميائي أدمج مع المنهج الأسلوبي التفكيكي للنص، أي أن الناقد عبد مالك مرتاض قد جمع بين التراث والحداثة في منهجه النقدي، رغبة منه في تجاوز التقليد

حيث أن الناقد "عبد مالك مرتاض" قد اشتغل على النصوص القديمة والحديثة و "يترك منهجا نقديا ألسنيا أو إجراء سيميائيا إلا اعتمد عليه مدارس النصوص الأدبية"<sup>9</sup>.

ومن مميزات الأعمال النقدية لعبد المالك مرتاض أنه يحدد المنهج المستعمل في دراسته مع العنوان

- ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد 1983.

- دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة 1992.

- شعرية القصيدة - قصيدة القراءة - تحليل مركب لقصيدة أشجان يمامية 1994.

- تحليل الخطاب السردي معالجة سيميائية مركبة "زقاق المدق" 1995.

2/ إشكالية مصطلح "الفضاء" عند الناقد "عبد مالك مرتاض":

أولى الناقد "عبد مالك مرتاض" جانب تحديد المصطلحات في منهجه عناية كبيرة، وساعده في ذلك قوته اللغوية واطلاعه الواسع على الدراسات الغربية الحديثة<sup>10</sup>، كما أنه (كان أكثر النقاد العرب وعيا بأهمية المصطلح، مكانته داخل الخطاب النقدي)<sup>11</sup>.

يعد الفضاء الروائي أساس أي عمل أدبي عموما والعمل الروائي بالخصوص. فالفضاء هو المجال الشاسع الذي تتحرك فيه شخصيات العمل، وهو أول ما يتصوره الروائي قبل البدء في أي عمل روائي أي أنه جوهر العمل الأدبي.

لقد كان لهذا المصطلح حيزا واسعا من دراسات الناقد "عبد المالك مرتاض"، وأول ما يمكن ملاحظته أنه فضل استعمال مصطلح الحيز كبديل عن الفضاء، في أغلب أعماله النقدية، مثل ما جاء كتابه "القصة الجزائرية المعاصرة"<sup>12</sup>، فقد خصص محورا كاملا من أربع محاور مكونة للكتاب يدرس فيه خصائص الحيز الروائي في القصة الجزائرية.

وما نلاحظه أنه لم يطلق مصطلح الفضاء في دراسته هذه، وإنما فضل مصطلح الحيز، بقوله "لقد خضنا في أمر هذا المفهوم وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابل المصطلحين الفرنسي والانجليزي (Espace, Space)<sup>13</sup>".

وقد علل هذا التفضيل الاصطلاحي بقوله (إن مصطلح الفضاء من تصورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الهواء والفرغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، الوزن، الثقل، الحجم والشكل....)<sup>14</sup>.

ومن هنا نرى أنه قد قدم قراءة جديدة لمصطلح الحيز، حيث يرى أنه المصطلح الأصح في الدراسات العربية فالترجمة المناسبة لكلمة (Espace) في نظره هي الحيز بدلا من الفضاء.

لكن "عبد مالك مرتاض" في دراسته المتأخرة نوعا ما قد عدل عن رفضه لمصطلح الفضاء لكونه غير ملائم لترجمة مصطلح (Espace)، وعلل سبب اختياره لمصطلح الحيز بدل الفضاء، أن هذا الأخير (قد تسرب إلى أكثر من حقل معرفي، إذ يوجد في لغة القانون "حق الفضاء".... الفضاء المعماري غزو الفضاء، الفضاء الجغرافي (...)).

من أجل هذا ارتأينا أن نصنع مصطلح الحيز الدال على الفضاء الأدبي، ووقفه مصطلحا على هذا المفهوم الذي تعدد فتبدل<sup>15</sup>.

فالحيز عنده مساويا للفضاء في الدراسة الأدبية، لكنه يختار الأول منهما ليميزه عن باقي الحقول المعرفية.

كما أنه قد اهتم بهذا المصطلح في العديد من دراسته النقدية الشعرية منها أو النثرية، لكننا هنا نركز على الدراسة التي تناول فيها الرواية كمجال تطبيق منهجه، حيث يظهر هذا الاهتمام واضحا للقارئ في هاته الكتب :

- كتاب الألباز الشعبية الجزائرية: خصص فصلا كاملا هو الفصل الثالث عنوانه بالحيز في الألباز الشعبية.
- كتاب القصة الجزائرية المعاصرة: وكما قلنا سابقا أنه خصص محورا وسمه بخصائص الحيز.
- كتاب ألف ليلة وليلة: فصلا عنوانه بالحيز في حكاية جمال بغداد.
- تحليل الخطاب السردي: فصلا عنوانه المكان.
- في نظرية الرواية: الحيز الروائي وأشكاله فصلا كاملا.
- نظرية النص الأدبي: الحيز الأدبي، استحوذ على قسما كاملا من الدراسة.
- كما أنه حدد أشكاله في بناء الرواية: وحددها بثلاث أشكال هي كالآتي :
- 1- الفضاء النصي: يعتبر أحد المكونات الهامة للفضاء الروائي وهو ما يعرفه ب: ( أنه الحيز الذي تشمله الحروف المطبوعة على الورق)<sup>16</sup>.
- وهو أيضا (يشمل طباعة الغلاف والفصول وتغيير الطباعة .... وغيرها من الكتابة الأفقية والكتابة العمودية والرسوم والأشكال، والصفحة ضمن الصفحة، ألواح كتابية والفهارس وغيرها)<sup>17</sup>.
- ومنه نستطيع القول أن الفضاء النصي هو الجانب الطباعي من سواء كان حروفا أو رسوما (أشكالا وألوان)، أو خطوط مستقيمة أو منحنية، فكل منها تؤدي دورها لتعميق الدلالة من أجل الوصول للقارئ للبنية الدلالية العميقة للنص الروائي، كما تسهم في إضاءة جوانب معتمة في النص لتساعد في عملية فهم المقروء.
- 2- الفضاء الجغرافي: وقد بدأ الناقد "عبد مالك مرتاض" دراسة هذا المظهر من مظاهر الفضاء، بالتحدث عن الجغرافيا فمفهوم معادل لعلم المكان الذي يتناول الأمكنة من جبال ووديان وسهول.
- وقد رفض أن يكون الفضاء الجغرافي الروائي هو الجغرافيا وإنما هو (أكبر من الجغرافيا مساحة، وأشسع بعدا، فهو امتداد وارتفاع، وهو انخفاض، وهو طيران وتحليق، وهو نجوم في الأرض وغوص في البحار، وانطلاق نحو المجهول، وهو عوالم لا حدود لها)<sup>18</sup>.
- إذ أن المكان ليس مجرد معبر للأفعال الزمنية وتراكمتها على سطحه وإنما المكان في الرواية حصل على كينونته حين أخرجته اللغة من الجمود ومنحته لسانا وأيقظته من عفوئته<sup>19</sup>.
- وبالتالي فهو ليس الجغرافيا كما نعرفها لأنها تصنف الأماكن الموجودة فعلا، بينما الفضاء الجغرافي الروائي هو معالجة لأماكن كانت في مخيلة الكاتب قد نجدها في الواقع بمسمياتها لكنها ليست هي.
- وأعتقد أن هذا ما سماه الناقد "عبد مالك مرتاض" الحيز الأمامي.
- الحيز الخلفي: كما الحيز المباشر، بحيث يمكن تمثله بواسطة كثير من الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة على المكان مثل الجبل ... مثل الأفعال سافر وأبحر، ركب الطائرة فكلها أفعال تولد أحياز في معانيها فقد ينتج الحيز حيزا أكبر منه فمثلا كلمة خرج فيكون الخروج من حيز إلى آخر أكبر<sup>20</sup>، وقد تحدث الناقد "عبد مالك مرتاض" في هذا الجانب عن دلالة ارتفاع الصوت وارتباطها بشساعة المكان أو ضيقه.

كما فصل في أنواع الفضاء الأدبي في كتابه "نظرية النص الأدبي" والتي سماها أحيانا.

1- الحيز الجغرافي: "الواد - الجبل، السهل...."

2- حيز المكان الخيالي: (على الرغم من ثبوتية مكانيته التي تظل عالقة به ملازمة له إلا أنه يفقد الانتماء إلى جغرافيا معينة تتحدد بالحدود والمساحات والاتجاهات وهذا الضرب المكاني هو الذي يرقى إلى مستوى الحيز الأدبي الخالص، أي أن الكاتب يكون قادرا على إنشاء عالم خالص له، وقف عليه وليس انطلاقا من الأمكنة الجغرافية)<sup>21</sup>.

كما أنه في كتابه "نظرية النص الأدبي" قام بتقسيم الحيز الأدبي إلى أربع مجموعات:

1. تتضمن مثل اللغة على القرطاس — الفضاء النصي.

2. تتضمن ما هو ناشز صلب مثل الأرض الجبال السهول — الحيز الأمامي .

3. تتضمن ما هو سائل مثل البحار الماء .

4. تتضمن كل ما هو حيز فارغ لا يلمس باليد مثل الهواء حركة النسيم ،

هنا نستطيع القول أن تقسيمه هذا كان مبنيا على استعمال الحواس في اكتشاف الحيز:

• العين الرؤية: توزع السواد وبياض على الصفحة .

• اللمس: صلب سائل.

• لا أستطيع لمسه الهواء.

ثم تحدث في نفس الكتاب عن الحيز الأدبي المفتوح الذي يجعل من اللغة (قادرة على فتح أحياز تظل مفتوحة على وجه الدهر)<sup>22</sup>، وهنا نجد أن هذا الحيز ممتد باق ما دام هناك قراء يبعثون فيه معان متجددة، فلا نص في نظر الناقد "عبد المالك مرتاض" متجدد مع كل قارئ جديد، وهذا هو الفضاء الدلالي

تجليات الفضاء في روايات عبد المالك مرتاض:

إن المتتبع لروايات الروائي "عبد مالك مرتاض" يلحظ من عناوينها، أن بعض الروايات قد هيمن عليها الفضاء الجغرافي، تواجد مفردة تدل على المكان مثل صوت الكهف، واد الظلام، ثلاثة الجزائر، فمثلا وادي بالظلام هي رواية تتحدث عن العشرية السوداء في الجزائر، والواد هنا هو رمز يدل على الوقوع إلى الأسفل والانزلاق في المشاكل، وهي رمز للهموم التي عاشها الجزائري فلا يختلف فيها الغني والفقير كل وقع تحت وطأة الظلم، وفي الأخير يشير "عبد مالك مرتاض" إلى أن هذا الصراع بأيادي خارجية ترجع إلى المحرك الفرنسي الخارجي، أي أن أساس الصراع الذي قامت عليه الرواية هو الصراع المكاني "الجزائر- فرنسا" التي يرمز لها " وادي الظلام- الذي يتخبط في المشاكل مقابل الجبل الذي يسير الحرب الأهلية من الأعلى"<sup>23</sup>

وهذا الصراع نجده في العديد من رواياته متمثلا في ثنائية الضدية "الأعلى - الأسفل" مثل رواية "نار ونور" الذي جاء الصراع المكاني فيها بين حي سيدي الهواري الفقير الذي يقطنه الجزائريون وبين العمارات العالية في أفضل الشوارع في مدينة وهران التي يسكنها الفرنسيون ويعيشون عيشة ينعمون بنور الشمس وجمال البحر، عكس الجزائري الذي يحرم من كل هذا<sup>24</sup>.

مميزات الفضاء الجغرافي في روايات عبد مالك مرتاض

1. يستعمل تسمية المكان "وهران - قسنطينة - حي سيدي الهواري... " لإيهام القارئ بواقعية الرواية وإدخاله في فعل

القراءة وفهم النص.

2. يستعمل الروائي فكرة الصراع المكاني في كل من رواياته "صوت الكهف - حيزية - وادي الظلام - دماء ودموع" وكله صراع قائم بين الثلاثية "المهجر - أرض الوطن - فرنسا"

3. الفضاء المكاني اللامحدود : هو ما سماه الحيز المكاني الخيالي الذي يرقى إلى مستوى الحيز الأدبي الخالص، كمثل على هذا لا الحصر حين يصف حيزية التي ترمز إلى الجزائر "حيزية الموجودة المفقودة هي في كل مكان وليست في مكان لأنها هي المكان...." <sup>25</sup>

"هي أغبر في التاريخ قدما ، هي أعمق في الوجود وجودا، وهي التي كانت قبل أن تكونوا جميعا ... كانت قبل الكينونة، ..... هي التي ربت الزمان في حضنها..." <sup>26</sup>

4. تغيير طباع الفضاء المكاني بتغيير عقليات الشخصيات:

وهنا نلمس أنسنة المكان فالمكان المتكلم، القادر على فهم البشر، هو الذي يغير من طباعه ليلائم سكانه ، فالجبل في رواية صوت الكهف "الذي كان يصعب انتقالهم إلى الأعلى بأشواكه، السماء التي كانت تمنع المطر عنهم حين كانوا عبيدا لفرنسا، أصبح يحميهم وتمدهم السماء بالخيرات حين انتفضوا ورفضوا الظلم.

5. تقنية الوصف: نجد أن الناقد "عبد مالك مرتاض" قد استعمل التقنيتين فقد ذكر التفاصيل في بعض المواضع، اختار الانتفاء في مواضع أخرى، فمثلا لا يصف من غرفة "سعيد" في رواية "دماء ودموع" غير صورة والده المعلقة على جدار الغرفة وذلك ليبدل على ارتباط "سعيد" بوالده الذي اختفى وكان قد أخذته فرنسا ليحارب معها أثناء الحرب العالمية الثانية ، بعد وعد فرنسا للجزائريين بالاستقلال إذا انتصرت في الحرب، ولكن فرنسا أخلفت الوعد وقتلت من الجزائريين الكثير في أحداث الثامن ماي ، وبالتالي فالارتباط هنا يتجاوز ارتباط الابن بالأب، إلى ارتباط أفكار وارتباط الجزائري بتاريخه وماضيه.

6. التوافق بين المستوى المادي للشخصية والطابع الطبوغرافي أو البناء الهندسي للمكان ، أو البناء الهندسي للمكان فالأكواخ التي بناها الروائي في الأرياف وتأثيرها داخل الفضاء الروائي، تحيلنا إلى معاناة الشعب الجزائري إبان فترة الاستعمار الفرنسي.

ومنه نجد أن عبد المالك قد أولى الفضاء الجغرافي أهمية كبرى في رواياته.

الفضاء النصي:

- الفضاء الصوري تعدد الصور التي رسمت على الأغلفة، لكن أهم ما يميز التعالق بينها وبين البنية الدلالية للرواية وكمثل على هذا رواية واد الظلام نجد في وصفنا

الواد في الأسفل قد ظهر باللون الأصفر وأعلاه جبل بنفس اللون والسماء ملبد والحد الفاصل بينهما شديد الظلام وهنا جاء تصميم اللوحة ضمن اللوحات التعبيرية، وقد استعمل فيهما الرسام اللونين أحدهما الأسود القائم الذي يعبر عن الظروف المأساوية والأحزان التي عاشها الشعب الجزائري إبان العشرية السوداء وجاء كحد فاصل يقسم اللوحة إلى جزأين أحدهما علوي هو الجبل والآخر سفلي هو الوادي، وفي هذا التضاد بين الثنائية (الأعلى - الأسفل) رمز فالمكان السفلي انحدار للهاوية ورمز للخطر الدائم الذي عاشه الجزائري فهو في فضاء العنف والاضطراب، وهو فضاء تملؤه الرغبة في الأمن والاستقرار.

وقد لون الجبل كما الوادي باللون الأصفر، اللون الذي "ذكر في القرآن الكريم أربعة مرات إحداهما في سورة البقرة والثلاثة الأخرى في وصف النبات، غدا كان اللون الأصفر يوحي بدلالات مختلفة وفق السياقات المختلفة أيضا، فيعني التضحية كالبقرة الصفراء، ويعني الخداع ويعني المرض...<sup>27</sup> .

وهو أكثر الألوان كراهية فهو يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والخيانة<sup>28</sup> .

فقد جاء اللون الأصفر بدلتين مختلفتين :

1- اصفرار الواد دلالة على الأمراض الاجتماعية والآلام التي يعانها جل الشعب آنذاك.

2- اصفرار الجبل يدل الخداع والأمراض النفسية التي يعاني منها أهل الجبل.

ولكن أين هو مصدر الضوء لماذا لم يظهر على اللوحة؟

قد يرجع هذا التنويه الذي أشار إليه الكاتب أن الأسباب ترجع إلى أيادي خارجية تعود العهد الاستعماري.

العناوين الروائية :

بالنسبة للأعمال الروائية لعبد مالك مرتاض صدر له اثنا عشر عملا:

- ثنائية الجحيم ( مرايا متشظية - واد الظلام ) .
- ثلاثية الجزائر (الملحمة - الطوفان - الخلاص) .
- رباعية الدم والنار ( دماء ودموع - نار ونور - حيزية - صوت الكهف ) .
- الخنازير .
- الحفر في التجاعيد ( سيرة ذاتية ) .
- هشيم الزمن ( مجموعة قصصية )

العنوان هو "مرآة مصغرة لكل النسيج النصي ، تعكس الأفكار والحلجات المختلفة" فالعنوان ليس عنصرا زائدا في الرواية بل عنصرا متكاملًا مع النص الروائي<sup>29</sup> حيث أنه لا يمكن فهم دلالة العنوان دون إتمام النص، وبالمقابل فالعنوان هو جملة تم تركيز النص فيها<sup>30</sup> .

ولكن ما يمكن ملاحظته عن هاته العناوين كلها جاءت جملا اسمية قد مسها الحذف النحوي فقد جاء كلها خبر لمبتدأ محذوف

تقديره هذا في (وادي الظلام - الطوفان - الخلاص - صوت الكهف - الحفر - هشيم الزمن) .

أو هذه في (الملحمة - مرايا متشظية - دماء ودموع - نار ونور) .

وهذا الحذف هنا خلف ثغرات نحوية، تخلف لدى القارئ أول ما يلتقي بالرواية صدمات " ما يطرح عنده مسألة الغموض الدلالي للعنوان"<sup>31</sup> .

حيث يقود هذا الغموض الناتج عن الحذف إلى وظيفة مهمة من وظائف العنوان وهي الوظيفة الإغرائية.

كما أن العناوين التي قد اختارها الكاتب قد غلب عليها الطابع المكاني فالمكون المكاني في العنوان لم يأت اعتبارا، بل جاء ليبين سلطة المكان في الرواية، فقد قامت هاته الروايات أساسا على فكرة استرجاع المكان وتحقيق الأمن لسكانه .

ومنه نجد أن كل العناصر في روايات عبد المالك مرتاض تضافرت لتعمق المعنى الدلالي، وليظهر كل جزء من الفضاء الروائي جانبا من عتمة الرواية، فلهذا تأتي دلالة النص من تشاكل وتعلق عناصر الفضاء فيما بينها.

وكخلاصة لبحثنا هذا نستطيع القول أننا إذ اعتبرنا أن الحيز كمفهوم مرتاضي هو مصطلح مساوي لمصطلح الفضاء الروائي في الدراسات النقدية الحديثة، وأن الناقد "عبد المالك مرتاض" أرادهما بنفس المفهوم النقدي وإنما فضل أحدهما على الآخر كتصحيح لعملية الترجمة، ومارس أعماله النقدية التنظيرية كلها على هذا الأساس .

ومن خلال تتبعنا لأعماله النقدية والروائية، نجد أن "عبد المالك مرتاض" قد اهتم بجانب الفضاء الروائي تنظيراً وتطبيقاً سواء في أعماله الروائية أو النقدية.

وقد كان له فضل الريادة والسبق في دراسة هذا الجانب من الرواية، بمصطلح جديد في عالم الدراسات الأدبية، قد تميز به هو الحيز.

## الهوامش

- 1 محمد سالم سعد الله، أنسنة المكان، علم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2007، ص 137.
- 2 ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، مجلد 6، ط 1، مادة فضا، ص 157-158.
- 3 المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط 23، مادة فضا.
- 4 - أكرم يوسف، الفضاء المسرحي، دراسة سيميائية، دار مشرق - مغرب، دمشق (د، ط)، 2000، ص 25.
- 5 - حميد حميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي، بيروت، ط 2، 1993، ص 64.
- 6 - ينظر : جوزيف إكسنر، تر: لحسن أحمامة، شعر الفضاء الروائي، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2003، ص 10.
- 7 بريهمات عيسى، مجلة الآدب و اللغات، العدد 1، الأغواط، الجزائر، 2010، ص 8
- 8 نفسه، نفس الصفحة.
- 9 - مولاي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي: دراسة وصفية نقدية في نموذجي عبد مالك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2005، ص 101.
- 10 - ينظر : عبد الرحمان بن زورة، إشكالية مصطلح الحيز في الكتابة النقدية عند عبد مالك مرتاض مجلة مقاليد قاصدي مراح، ورقلة الجزائر، عدد 11، ديسمبر 2016، ص 2.
- 11 - قادة عقاق ، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد مالك مرتاض بين وعي الذات وطموح الحداثة، مجلة نزوى، الأردن، العدد 38، أبريل 2004، ص 272.
- 12 - ينظر : عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 122، 99.
- 13 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الجزائر، 1993، ص 121.
- 14 - نفسه، نفسه المرجع، ن، ص .
- 15 - عبد مالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دراهومة، الجزائر، ط 2، 2010، ص 297، 298.
- 16 - عبد مالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 75.
- 17 - حميد الحميداني، المرجع السابق، ص 56.
- 18 - عبد مالك مرتاض في نظرية الرواية، ص 125.
- 19 ينظر: بريهمات عيسى، مرجع سابق.
- 20 - ينظر نفسه، ص 124.
- 21 - عبد مالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 332-333.

- 22- نفسه ، ص 341.
- 23- عبد مالك مرتاض، رواية وادي الظلام، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- 24- عبد المالك مرتاض، رواية نار ونور، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت .
- 25- عبد مالك مرتاض، رواية حيزية، دار البصائر، الجزائر، ص 16.
- 26- نفسه ، ص 17 ، 18.
- 27- طاهر محمد الزواهرة، اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد، عمان ، ط1، ص 98.
- 28- أحمد مختار عمر، اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، ص 229.
- 29- شعيب خليفي، هوية العلامة ، ص 14.
- 30- \* - على اعتبار أن النص محلول اجتمعت فيه العديد من العناصر الكيميائي وتفاعلت فيما بينها، والعنوان هو هذا المحلول لكنه بتركيز عال.
- 31- شعيب خليفي ، نفس المرجع، ص 26.